قصة الهواجس

للأديب مصطفى محمود

انفض الأصدقاء والصديقات وخلا « الصالون » إلا من سيدة البيت التي جلست منزوية في أحد الأركان وكأنها ما زالت تتحدث إلى صديقة وفية لم تشأ أن تتركها كما تركها الآخرون فجلست إليها تبادلها الهمس وتسر إليها كوامن الأشجان ... ولم يكن الحديث إلا حديث النفس تهمس به في ساعات الوحدة فتكشف به ما انطوى في أعماقها البعيدة .

هتف بها ابليس وقد وجد طريقه إلى عقلها الواعي

— ألست جميلة ؟

فرفعت رأسها إلى المرآة لتتأمل السحر الأسود الذي يكمن في عينيها الواسعتين والعميق الذي يحتل شفتيها الرقيقتين وهتفت في ألم .

— نعم جميلة ... رائعة !

فأردف ابليس وقد وجد طريقه ممهداً

— وهذا الجمال ألا يذبل ؟

فقطبت حاجبيها وامتلأ جبينها بالتجاعيد وغاضت الدماء من خديها وطالعتها مئات من الصور البشعة ولم تجب ، فاسترسل ابليس وقد شاع الحزن في نبراته

— نعم إنه يذبل ... ويترك وراءه الأسى والأحزان .

ثم صمت فترة وتركها بين أشتات الهواجس . ثم عاد يقول:

— ولكنك جميلة الآن ... ألا ما أجمل هذه الكلمة « الآن » إنها الكلمة الوحيدة التي تحوي كل شيء ... فما أشد غفلة الإنسان حينما ينسى بهجة الحاضر ويتعزى بلذائذ الأوهام.

— جميلة ... وما الجمال ، ولماذا خلق ؟

— الجمال ولماذا خلق؟ . وهل خلق الجمال إلا لاجتذاب الفراش

— الفراش — يا للشرير — حقاً لقد ذكرتني أنه لا يفتأ يتهافت علي كما يتهافت على النور الساطع ... ولكن هناك زوجي ... زوجي دائماً

— آه ، هذا الفراش المجوز الذي فقد جناحيه ، يا للمأساة كم أضحك حينما أراه يتودد إليك وأسمعه يفتح فمه الواسع الخالي من الأسنان ويقول « أحبك » ... كم يبدو بشعاً قبيحاً ثقيل الظل ... أليست هذه سخرية مريرة من سخريات الحياة ، أين هو من فهمي وصبحي وصفوت من هؤلاء الشباب ذوي الخدود الوردية والدماء الحارة .

— والضمير ... أنسيته ؟

— هذا المخلوق الهزيل الذي لا يني يحدثنا بالأباطيل ويهرب بنا من الواقع ليجد كفناً أميناً في أحضان الخيال والوهم ... إنه ألذع السخريات التي ابتكرها العقل ليحارب بها فطرة الجسم وطبيعته ... اني أربأ بك عن الخضوع لهـــذا المرض الذي يسمونه الضمير .

— مرض ؟! ... يا للبشاعة !

— نعم إنه مرض عقلي ... يقضي على كل راحة ولذة وصفاء وهناء في الحياة

وسكت الشيطان بعد أن أوقعها في أحابيله وتركها تعاني الوساوس وتتقلب بين نوازع الشر وتبحث في أعماق نفسها المضطرمة عن الملاذ الأمين الذي تسكن إليه وترتاح إلى نجواه.. وأخيراً جاءها صوت الخير رقيقاً ملائكياً .

— أنت أيتها الباحثة عن اللذة ... هل وجدت لذة فيما سلف من أيامك .

— لا ... ما وجدت إلا الألم

— وحينما كنت تبلغين أمانيك

— كانت تبدو هزيلة أمامي وتفقد سحرها الماضي فلا يسعني ابقاء على اللذة وخيالها الحبيب إلا الاستسلام إلى أماني ورغبات جديدة .

— وهكذا ظلت حياتك رغبات وآمال كاذبة ، ولذة مفقودة لا تورث إلا الألم والحسرة .

— نعم هكذا ظلت دائماً ... رغبة جائعة نهمة لا تشبع .

— ولن تشبع

— نعم لقد بدأت أرى أنها لن تشبع

— وهكذا الحياة ... آلام تتفاوت مقاديرها ... فحسب العاقل أن يخرج منها بالقليل من الألم .. أما اللذة فهي غاية الأحمق ولن يحصل منها إلا على غاية الألم .

— لقد فهمت الآن .. فهمت الآن ... ما أجمل كلامك.. انك حكيم

وسكت الخير قانعاً وانطوى في أعماق النفس بينما أخرج ابليس لسانه السليط وعاد يقول :

ولكن بالرغم من كل هذا الكلام فهناك لذة ... رأولى بالضعيف أن يقول :

« إنني بائس » من أن يقول : « إن الحياة مليئة بالبؤس» نعم صدقيني يا سيدتي إن الحياة مليئة باللذة وهي تنتظر إعادة من رأسك الجميل لتقدم إليك الحب ،تحية الجمال ، واللذة ثمرته اليانعة الغضة. فلا تترددي وتذكري أن الزمن يرسم خطوطه الكريهة على الوجه الجميل ، وينزع السواد عن الشعور الفاحمة ويطفىء بريق الحياة من العيون المليئة بالحياة .

— كفى أيها الشرير ... كفى

— ويقوس الظهور التي لم تتعود ذل الإنحناء ويقتل الأصدقاء وتشتت الأحباء ، ويقدم الصاب والعلقم في كؤوس الوحدة والسأم والمرض وأخيراً يفتح لنا باب القبر على مصراعيه ويهيل علينا التراب ... ذلك التراب الذي كنا نطؤه بأقدامنا .

— رفقاً بالنفس الضعيفة يا رسول السوء .

— وهو لا يرحم ... فأولى بنا ألا نرحمه ... وأن نقتله كسباً ولذة وحياة فمقارب الساعة لن تقف دقيقة واحدة من أجلنا والشمس لن تقف عن دورتها يوما لتعطينا فسحة للتفكير .

— أنت ... أنت هو العذاب والجحيم نفسه فكفاني من لهيب ألسنتك يا هاتف الشر .. فلو لم تتكلم لكنت الآن سعيدة قانعة راضية .. أما الآن .. فالويل لي من جحيم النفس .. الويل.

— عجباً من هذا الإنسان ومن منطقه الأعرج ... أدفعه إلى اللذة فيقول إنني ابليس اللعين ... ويسمع هاتفاً آخر يدفعه إلى الألم والعذاب والحرمان فيقول هذا ملاك الخير .. أليست هذه كبرى مهازل العقل .

وسكت ابليس وهو يبتسم ويرقب الصراع الأليم والعذاب يتجسمان في ملامح المرأة التعسة والدموع تطفر من عينيها والعناء النفسي يبدو في أصابعها الشاحبة الباردة وهي تتصلب وترتعد في عصبية وسمعها تهمس وهي تبكي .

— حقاً ما أضعف الإنسان يشقى في الحياة ويعاني حتى إذا ما سكن وهدأ واستقر .. شقي في نفسه .

وتيقظ الخير من نومه العميق فقال في نبراته الحزينة .

— نعم ... لقد أدركت الآن لم أجر ورائي مواكب الألم والحرمان لأني أفضلها على مواكب الوهم .

وسكت هاتف الخير وهاتف الشر وغرقت أصوات النفس في أصوات الحياة حينما امتلأت الحجرة بأشباح صغيرة .. وقامت المرأة المعذبة تمسح دموعها وتستقبل لوناً جديداً من ألوان الكفاح والعناء .

ومرت الأيام والشهور وتزوجت الشابة الجميلة من شاب جميل ... فهل ماتت الهواجس ... وهل حصلت النفس على راحتها ؟ لا يا سيدي ... إن قصة الهواجس قصة حية خالدة ما خلدت النفس فيها هي صاحبتنا التعسة في « صالون » آخر ربما كان أبهى وأجمل من زميله القديم ولكنها لا ترى هذا الجمال ولا تشعر به بل ترى بعين النفس وفي مرآتها عشرات من أشباح النساء الجميلات تلتف كالأفاعي حول الزوج الجميل .. وتسمع صوت ابليس يصرخ .

— إنه لم ينم هنا البارحة وتعلل بالأسباب والمعاذير ... ولكن من يدري في أي أحضان قضى تلك الليلة ... يا لك من ساذجة ... لماذا لا تقابلين الخيانة بالخيانة ... إن أمين يتمنى لو..

وتكاد تضعف وتخضع حينما تسمع صوت الخير يهتف .

— يا للمسكين . لقد بات ليلته مسهداً يفكر فيك ويستعجل أنوار الصبح ليلقاك ... يا له من زوج وفي .

وتحار الزوجة التعسة وتتعذب ، وليست هذه هي المرة الأولى التي تحار فيها وتتعذب ... فقصة الهواجس تكون حياتها كما تكون حياة كل انسان وحياة كل نفس فما أشق نفوسنا نحن البشر وهي تتمزق تحت ضغط القوى الهائلة التي ركبت فيها .

مصطفى محمود

ظهر حديثا :

ديوان
الحان الخلود

أقباس وجدانية فى الحب والجمال

للدكتور

زكى مبارك

يطلب من المكتبات الشهيرة وثمنه ٥٠ قرشاً عدا أجرة البريد

سكك حديد الحكومة المصرية

قطار البحر مصيف الأسكندرية

يتشرف المدير العام باعلان الجمهور أنه ابتداء من ١٧ يولية سنة ١٩٤٧ ولحين صدور إعلان آخر سيقوم قطار بحر يغادر القاهرة الساعة ٠٠ ر ١٥ ويصل إلى الأسكندرية فى الساعة ٠٠ ر ١٨ أيام الخميس والسبت (أسبوعياً) ويعود منها أيام الجمعة والأحد فى الساعة ٣٠ ر ٢٠ وفقاً للمواعيد الآتية : —

المحطات	٩٩٧	المحطات	٩٩٨
مصر قيام	٠٠ ر ١٥	الأسكندرية قيام	٣٠ ر ٢٠
سيدى جابر وصول	٥٠ ر ١٧	سيدى جابر وصول	٣٨ ر ٢٠
قيام	٥٢ ر ١٧	قيام	٤ ر ٢٠
الأسكندرية وصول	٠٠ ر ١٨	مصر وصول	٣٠ ر ٢٣

ملاحظة . للمصلحة الحق فى أبطال أحد هذه القطارات بدون التقيد باذاعة إعلان عن ذلك .

تصرف لركاب هذه القطارات تذاكر ذهاباً وإياباً بأجور مخفضة من محطة مصر فقط إلى الأسكندرية قيمتها ٥٠٠ مليم للكوامل ٢٥٠ مليم للاولاد الذين يزيد سنهم عن الأربع سنوات ولا يتجاوز عشر سنوات .

ولزيادة الايضاح الرجاء : — الاستعلام من محطة مصر